٢

كتاب الأطفال

obeikandl.com

صفحة بيضاء
رقم 380

obeikandl.com

إبراهيم جوهر

بطاقة

إبراهيم جوهر أديب وناقد فلسطيني متميز، ولد عام ١٩٥٧ في جبل المكبر القدس الشريف، يحمل ليسانس لغة عربية ودبلوم تربية من جامعة بيت لحم، وماجستير أدب أطفال من جامعة القدس، ويعمل محاضرا في كلية الآداب للبنات في جامعة القدس، بدأ الكتابة في سن مبكرة، حيث نشرت له الصحف المحلية وهو في المرحلة الثانوية.

*** هل يمكن ان نتحدث عن البدايات.. وما الذي أخذك إلى عالم أدب الأطفال..؟**

البدايات دائما يتيح الحديث حولها المجال لنفخ الذات والاقتراب من العصامية المزعومة عند عشاق الذات المضخمة. . . بدأت أحب الكتاب ككتاب منذ الطفولة البائسة تلك البعيدة بقدر قربها من نفسي وذاتي، ، وحاولت الكتابة في الصفوف المدرسية التي لا تشجع على الخيال والخروج عن النمط المرسوم بقصدية واضع المنهج التعليمي الذي يخدم فلسفة تربوية سياسية أفهمها اليوم جيدا.

بعد انتهائي من رواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم، قررت أن أكتب (رواية). . .كنت في الصف العاشر فكتبت قصة طويلة رسالتها وطنية، أراها اليوم بداية حميمية أحيطها بالإشفاق والوفاء.

obeikandl.com

كان هذا في عام ١٩٧٤ م وصدرت أول مجموعة قصص قصيرة لي عام ١٩٨٧ م. عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين بعنوان(تذكرة سفر).

وسبقها في النشر قصة طويلة للأطفال عنوانها (الديك المغرور) ومع كثرة كتّاب القصة وقلّة القراء قررت التوجه للكتابة للطفل آملا ايجاد جيل يعشق القراءة والثقافة والتفكير. لذا كتبت للأطفال مجموعة قصص بعنوان(سرّ الغولة)و(أنا والبطة) و(صفاء تسأل أيضا) و (قمر سعاد)وقصص أخرى في المجلات المختصة بالطفولة.

الأطفال هم الأمل المعوّل عليه تجاوز خيباتنا وقصورنا وكسلنا. . .قد نحمّلهم ما لا يطيقون، ولكنهم الأمل الباقي. والاستثمار فيهم استثمار في المستقبل.

*** بماذا يجب أن يمتاز أديب الأطفال عن غيره من الكتاب..؟**

أديب الأطفال يمتاز بحبه لجمهوره، وقربه منهم، وفهمه لاحتياجاتهم، ولغتهم. واحترامه لعقولهم، ومحاولاته الدائمة لإسعادهم ودفعهم للتفكير وإمتاعهم.

الطفل عالم قائم بذاته، ذكي، مبدع، ولم يعد ذاك البسيط الذي يظنه بعض من يتوجهون إليه بالكتابة.

*** ما هي أهم الاعتبارات والشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند كتابة النصوص للأطفال.. وما حقيقة ان الكاتب يكتب عن طفولته..؟**

حين يكتب كاتب الطفل عليه مراعاة شروط الكتابة الفنية الخاصة بالطفل، ومراعاة اللغة المناسبة للسن، والخيال المحبب الهادف (للمتعة أو الفائدة أو تدريب القارئ على التخيل)

obeikandl.com

كاتب أدب الطفل هو مرب وكاتب ومؤسس لوعي الطفل وشخصيته في المستقبل فمسؤوليته كبيرة. وهي بعكس كاتب الكبار من حيث اختلاف الجمهور المتلقي.

الكاتب يكتب عن طفولته في مواقف ما وعن طفولة آخرين. ويكتب لتكون طفولة قارئيه خيرا من طفولته هو. فالطفولة بخبراتها وثقافتها تكوّن شخصياتنا وما التعديل اللاحق سوى تنويع على الأساس الذي بني هناك، في الطفولة. وطفولة الكاتب تمده بمواقف ولغة وخيال وأفكار وأحلام و(جنون) وحب وكره، ، ،لأنها مرحلة هامة في تكوينه الثقافي.

* **تناقش في قصتك "صفاء تسأل أيضا" تناقش موضوع السؤال عند الطفل.. وكما هو معروف فان الثقافة العربية أميل إلى الخوف من السؤال،..إنها ثقافة مجتمعات تخاف على أطفالها من تبعات طرْح الأسئلة، ولا سيّما الإناث..فطرح السؤال عفْرتة، وقلة أدب..هو تحدّ للكبار وتجاوز للحدود الطفل..؟**

أنت رسمت بسؤالك أرضية القصة؛ منطلق فكرتها الأساس. نعم السؤال مخيف، ممنوع، قلة حياء. . السؤال يرجّ المسلّمات، ويبحث عن أفق أوسع، ويشير إلى شخصية فاعلة باحثة غير سلبية. هذا ما أردته لقارئ قصة صفاء تسأل. . السؤال مفتاح المعرفة، قلت لهم: اسألوا ولا تهابوا. .

* **إجابتك تدفعني لطرح سؤال حول التربية والطفل.. هل التربية جزء من ثقافة الطفل، أم ثقافة الطفل جزء من التربية..؟**

ثقافة الطفل جزء من التربية التي يجب أن تكملها له، والعلاقة بين ثقافته وتربيته علاقة جدلية تؤثر وتتأثر. لا أرى انفصاما بين المصطلحين

ولا تعارضا؛ فكلاهما يكوّن شخصيته ومزاجه وفكره ورؤيته ورؤاه. نريد ثقافة مستندة إلى ثقافة.

ثقافة الطفل هي كل ما يتلقاه ويسلكه ويفكّر به، فالعلاقة بين التربية والثقافة جدلية كل منها يكمل الأخر ويتأثر به. فالثقافة التي تقدّم للطفل جزء منها تربوي، والتربية التي يتلقاها مكوّن ثقافي. والنتيجة شخصية محلية،منفتحة على آفاق من المعارف، ذات سقف عال غير محدود. المشكلة عندنا في العالم العربي بشكل عام تتمثل في انخفاض السقف الذي يعلو إنساننا، وطفلنا، فلترفع السقوف لنبدع؛ كبارا وأطفالا، ففاقد الشيء لا يعطيه، وهذا ما يفسّر لنا سبب مراوحتنا في دائرة مغلقة لا تغادر واقعها المرسوم بحدوده المحدودة... نحن محاصرون جغرافيا، وثقافيا، ونفسيا، لذا تضيع إبداعاتنا.

* **هل تختلف الخصائص النفسية للطفل لعربي عن الخصائص النفسية للطفل غير العربي، وبالتالي هل هناك فروق بين الثقافة التي ينبغي أن نعطيها للطفل العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص، عما يعطى للطفل غير العربي..؟**

الطفل في بداية مولده ونشأته أينما كان إنسان مخلوق بسمات وخصائص وذكاء وقدرات، والبيئة التي ينشأ فيها تتولى بعد ذلك تنمية هذه القدرات وتربية شخصيته وزرع قيمها فيه. والبيئة العربية بالتأكيد تختلف ثقافيا عن مثيلتها الأجنبية بما فيها من قيم خاصة وعادات وتقاليد ومفاهيم متباينة.

ولا شك أن الطفل الفلسطيني يولد في بيئة ذات معطيات وخصائص مختلفة عن البيئتين العربية والأجنبية، وهنا تقوم الصعوبة في التوفيق بين المتناقضات، ومحاولة تربية الطفل الفلسطيني للمستقبل المأمول، ولكن

الغامض المحاصر، وتنهض أمام الكاتب مهمة الانسجام والتوافق بين إيمانه وطموحه والواقع الذي يسحب ظلاله على تفكيره ورؤاه وحتى لغته.

يهرب بعض كتّابنا إلى الحكاية التقليدية التي سادت قبل التكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات، وكأنهم يسيرون بثياب عصر ماض في الزمن الحاضر.

الكتابة للطفل الفلسطيني صعبة الاختيار والتوجيه والإصدار والتوزيع. مما يزيد من معاناة الطفل التي تنتظره حينما يكبر أيضا؛ فلا يجد من يفهمه جيدا، ولا يوفر له ما يعينه على فهم الحياة والتكيف معها بما يحفظ له تميزه.

* **يتأثر الطفل بأسرته تأثراً بالغاً، فهو يلاحظ سلوكهم ويقلدهم، هل بإمكاننا أن نتدخل ككتاب في هذه العلاقة لنخفف من تأثير ما هو سلبي من سلوك الأسرة، وندعم ما هو إيجابي.. وإلى أي مدى يمكن التدخل..؟**

أنت تضيف عبئا آخر على عاتق الكاتب وقلمه وقدراته هنا يا صديقي... ولكنك تلمس وترا هاما يتمثل في أهمية (تربية) الأسرة قبل الطفل، وهذا عين الصواب.

إن كل شيء في الحياة يتطلب إعدادا وتدريبا ما عدا دور الأب وإلام في مجتمعنا العربي. مطلوب إعداد الوالدين قبل الزواج وتحضيرهما للقيام ب(دور الأب أو الام) وتنويرهما بالأساليب الحديثة في التربية، وبأهمية تدريب الطفل وتعويده على القراءة. الأسرة هي التي تربي الطفل على الاتكالية والعجز والتهرب (كما أشار هشام شرابي في دراسته للمجتمع العربي منذ أكثر من أربعين عاما) وما زالت الروح نفسها سائدة، والنتائج ذاتها متحققة!

*** المتابع لإصداراتك للأطفال (الديك المغرور.. سر الغولة.. صفاء تسأل أيضا.. - قمر سعاد..) يلاحظ تحميل الأسماء نفسها قيما أخلاقية ومعرفية. وسؤالي كيف تختار موضوع القصص..؟**

موضوع قصصي أختاره من بيئتي الخاصة والعامة. وأهدف من خلاله إلى إنارة قضايا وطرح أفكار تحترم عقل القارئ، فأنا أحترم ذكاء الطفل، وأدعوه إلى التفكير، ولا أحكي له حكايات لتسليته وتمرير وقته. . .المتعة تتوفر من خلال العقل والتفكير، فطفلي الذي أريده مفكّراً يحاسب ويسأل ويضحك ويحب.

مشروعي لم يكتمل بفعل عدم توفر الرعاية والاهتمام الكافيين. . . ولكني انتبهت(!!) في وقت لاحق إلى إيلاء دور واهتمام للمرأة في قصصي، لم أتقصد هذا صدقا، ولكنه نما إلى قلمي بما يترجم موقفي من أهمية دور المرأة؛ الام والمعلمة للطفل.

*** لوسائل الإعلام دورها في تثقيف الطفل وتربيته، والسؤال كيف ينبغي إن يستفيد الكاتب من وسائل الإعلام ويوظفها في خدمة الأطفال..؟**

لعل مسؤولية وسائل الإعلام الاستفادة من الكاتب، والطلب منه التعاون لإيصال الرسالة التربوية الترفيهية للطفل. ربما لم يلتفت الكاتب إلى وسائل الإعلام بغرض التكامل في التوجه إلى الطفل لأن ما يكتبه وسيلة إعلام خاصة.

اليوم من الضروري التكامل بين الوسائل المتاحة لإفادة الطفل، ولاستغلال أفضل الإمكانيات لتخاطبه.

*** من خلال مطالعة أعمالك نجد فيها ابتعاداً عن قصص البطولات والخوارق وملامسة لواقع الطفل، ما هي وجهة نظرك في هذا الموضوع..؟**

البطولات والخوارق أرى فيها امتهانا لعقل الطفل، نحن نجيد البطولات على الورق وتاريخنا الروائي مليء بالبطولات الكرتونية التي عشقها أجدادنا وما زال بعضهم يروّج لها، أو يكتب متأثرا بها. لنصنع بطولاتنا الخاصة. لقد أجاد نزار قباني في قصيدته (هوامش على دفتر النكسة) حين طلب من الأطفال أن لا يقرؤونا وحين أوضح صفات الجيل المطلوب: نريد جيلا ثائرا عملاقاً، . . . يفلح الآفاق.

ومرة أخرى هذا التوجه كان قبل أكثر من أربعة وأربعين عاما. . .

*** يلاحظ محاولتك الاستفادة في قصصك من أسلوب المقامات في التراث العربي..والسؤال إلى أي نوع تميل أكثر.. إلى الكتب الإبداعية الحديثة، أو تلك التي تعتمد التراث.. وكيف تتناول التراث..؟**

ربما التبس عليك الأمر أخي وحيد هنا. فما كتبته على طريقة المقامات موجّه للكبار، وهو لون أدبي أطلقت عليه اسم (مقاية) وهي نحت من (مقامة وحكاية). وكان مسوّغ هذا اللون تواجدنا في أمسيات الخميس الثقافية الأسبوعية في مدينة القدس، والهدف منه: التسلية والنقد والتعبير بأسلوب المقامة المعروف، ولكن بسمات عصرية.

ولا أمانع الاستفادة من التراث الأدبي والشعبي والديني في الكتابة للطفل. فهذا ما يميز ثقافتنا الشرقية، ولا أنادي بالتخلي عنها، بل يجب الاعتزاز بها لغناها وحضاريتها وانفتاحها.

*** إشارة إلى بحثك الهام حول " القيم في أدب الأطفال الفلسطينيين وسمات الشخصية" يحضرني سؤال بان لدينا الكثير من الكتب والدراسات المتخصصة في دراسة أدب الأطفال المعاصر، والمكتوبة بأقلامٍ ناقدة خبيرة، ولكن هل استطاع أدباء الأطفال المعاصرون إنتاج أدبٍ بالمستوى الذي كانت تطمح إليه هذه الدراسات وتنظِّر له..؟**

باختصار: لا. الدراسات توصي وتنتقد وتشير وتقترح، وكأن الكتابة للطفل مؤسسة أو عمل يومي يقوم به الكاتب ويخطط له.

الموجود عندنا كتابات يقتنص كاتبها من وقته ليكتبها، ويعاني لينشرها، وليوزعها. . .المسألة عندنا تعاني من نواقص عديدة، ولا يقوم على رعايتها مؤسسة صادقة تعرف قيمة الكلمة والفكرة والخيال لدى القارئ.

*** لدينا كمٌّ كبير من كتب الأطفال المترجمة من الآداب العالمية، ولكن كم كتاباً عربيًّا تُرجم لأطفال العالم؟ وهل ما ترجمناه لأطفالنا يناسبهم حقًّا..؟!**

يشترط في ما يترجم لطفلنا أن يناسب بيئتنا وثقافتنا، علينا الانتباه من خطورة تغريب طفلنا في قراءته وتفكيره، فيكفيه ما تعبئه به البرامج التلفزيونية من قيم، وعنف، ولغة، ومفاهيم. ما ترجم من الأدب السويدي فيه ما له وما عليه. ولعل (دار المنى) في ترجماتها تحاول أن تختار الأنسب، وتعهد إلى متمكنين من اللغة العربية والأدبية لترجمة ما تختاره، أدب الطفل هناك متطور بدرجات عما هو عندنا بسبب الاهتمام، والتراث الأدبي في هذا المجال.

*** ما مدى اطّلاعك على أدب الأطفال في " إسرائيل" أو المكتوب بالعبرية.. وكيف تقيمه..؟**

لا اطلاع مباشر لي على الأدب العبري للطفل، ولكني اطّلعت على دراسات حوله. إنه ينقل قيم المجتمع السائدة عن العرب للأطفال. هو أدب تعبوي يسهم في التربية التي ترتئيها المؤسسة الرسمية. يربي على الحقد والكراهية واحتقار العربي، وأحقية اليهودي في هذه الأرض. أدب أطفالهم يترجم سياستهم.

*** هل من إضافة أخيرة..؟**

أحب أن أُشير إلى تزامن هذا اللقاء اليوم مع قيامنا بدفن الشاعر سالم جبران، ولم يعرف به كثيرون، وهو المبدع، أحد شعراء المقاومة، والمفكر الذي عاش مؤخرا حياة (المثقفين) التي لا توفر لصاحبها لقمة كريمة، رأيت مثقفنا يتوسل ويسخط.

وبعد يومين سنستحضر شاعرين هما: معين بسيسو وعبد اللطيف عقل في لقاء ثقافي.

وقبل شهرين توفي طه محمد علي، وانتحر فرانسوا أبو سالم...

لا راعي للثقافة في بلادنا..نكتب من أعصابنا، ودمنا، ووقتنا،،،وحزننا، وغضبنا...

هل انتقل شيء من هذا إلى إجاباتي؟؟ لست أدري...ربما..